

صورة النبي محمد (ص) وسيرته في كتابات المستشرقين لورا فيشيا فاغليري وغوستاف لوبون:

إنصاف أم ازدواجية في الخطاب؟

The Image of the Prophet Muhammad and His Biography in the Writings of Orientalists Laura Veccia Vaglieri and Gustave Le Bon: Fairness or Duplicity in Discourse?

د. شهرزاد لمجد

جامعة البليدة 2 لونيبي علي، الجزائر

lamchahra10@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0002-4332-4673>

تاريخ الاستلام: 2026/04/30 تاريخ القبول: 2026/05/08 تاريخ النشر: 2026/06/10

ملخص:

تركز الدراسة على تحليل صورة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الكتابات الاستشرقية، مع التركيز على جهود المنصفين مثل لورا فيشيا فاغليري في "دفاع عن الإسلام"، وغوستاف لوبون في "حضارة العرب". كما تهدف إلى تجنب التعميمات المجحفة، رغم الاتجاهات المنهجية لتشويه الإسلام كما وصفها إدوارد سعيد. مع الكشف عن توازن في آراء بعض المستشرقين، مما يدعو لتمييز المنصفين عن المتحاملين. ويؤكد على ترجيح الأفكار داخل كل فئة لفهم الاستشراق بشكل أدق.

كلمات مفتاحية: الاستشراق، سيرة النبي، لورا فيشيا فاغليري، غوستاف لوبون.

Abstract:

The study focuses on analyzing the image of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) in Orientalist writings, emphasizing the efforts of fair-minded scholars such as Laura Veccia Vaglieri in *In Defense of Islam*, and Gustave Le Bon in *The Civilization of the Arabs*. It also aims to avoid unjust generalizations, despite the methodological tendencies to distort Islam as described by Edward Said. It reveals a balance in the views of some Orientalists, calling for a distinction between the fair-minded and the biased.

It emphasizes weighing ideas within each category for a more accurate understanding of Orientalism.

Keywords: Orientalism; Prophet's biography; Laura Veccia Vaglieri; Gustave Le Bon.

1. مقدمة

عندما نتجه إلى محاولة تحليل أو فهم عملية تشكيل الآراء وصناعة القرارات وتحديد السلوكيات فإن الدراسات غالبا ما تحيلنا على الصورة الذهنية التي استقرت في خلد المرء عن الأشياء والناس والعالم من حوله وحتى عن ذاته عبر سيرورة معرفية ووجدانية طويلة، ويتم استدعاؤها في عمليات إدراك الوضعيات المختلفة لبلورة الأحكام وتوجيه السلوك.

وهنا تكمن أهمية دراسة الصورة الذهنية باعتبارها أساسا لإيضاح الطريقة التي يفكر بها المرء وينظر بها إلى الآخر ويتصرف بها إزاء الأفراد، والجماعات، والمؤسسات، والوقائع، والأحداث... إلخ، مع الأخذ في الاعتبار ما قد يكون من فارق يتسع أو يضيق بين التصور والحقيقة، وتتدخل عوامل عديدة في صناعة حجم هذا الفارق منها التنشئة الاجتماعية والبيئة المحيطة بما فيها من تصورات شائعة والخبرات الذاتية، والوسائط الإعلامية المختلفة والتحصيل العلمي والمعرفي والنزعات الأيديولوجية وغيرها.

وهذا ما يفسر اهتمام المسلمين خاصة في الظروف الراهنة بما يكتبه ويقولونه الآخرون عنهم وعن حضارتهم أي بالصورة التي تشكلت عنهم في أذهان الآخر - غالبا الغربي، لكونها أصبحت مصدر مواقف وسلوك قد يتخذ اتجاهها عدوانيا أو مشوها إزاءهم أو العكس، ويؤثر في طبيعة وجدوى العلاقات بين الطرفين.

وقد تكون ظاهرة الاستشراق شكلا من أشكال صناعة الصورة عن الإسلام والمسلمين أفرزها سياق تاريخي معين وأهداف لا يمكن الجزم دوما بأنها ترتبط بالحس المعرفي وحده، ولهذا فقد أثارت ولا تزال تأثير جدلا واسعا خاصة وأن الأمر لم يعد يقتصر على الآخر الذي يستدل بما يكتبه أبناء جلدته عنا وعن مكوناتنا الحضارية والثقافية والدينية بل تعداه، وهو ما يثير الانتباه أكثر، إلى أن بعضنا أصبح يستدل على نفسه بما يكتبه ويرويهِ الآخر عنا.

لذا من المهم معرفة الصورة التي يحاول المستشرقون ترسيخها عن الإسلام والمسلمين ليس لداع الاطلاع فحسب وإنما لتصحيح الصورة المشوهة فنحن نعيش في منظومة عالمية تقتضي أن نسوق لأنفسنا صورة جيدة، أو تثبيت الصورة السليمة وفي ذلك تفاوت بين تراث مستشرق وآخر فمَنهم من سلك في ذلك مسلك التشويه ورفع بناءه من غير أساس ومنهم من حاول الإنصاف أو الموازنة.

في هذا البحث سنحاول تقصي صورة النبي محمد صلي الله عليه وسلم وسيرته من خلال كتابات مستشرقين هما: الإيطالية لورا فيشيا فاغليري في كتابها "دفاع عن الإسلام"، والفرنسي غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب".

■ فمن هما لورا فيشيا فاغليري وغوستاف لوبون؟

■ وما هو مفهوم الصورة الذهنية وأنواعها؟

- وما هي صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته في كتاب "دفاع عن الإسلام" للورا فيشيا فاغليري، وكتاب "حضارة العرب" لغوستاف لوبون؟

سنحاول استيفاء الإجابة عن التساؤلات المطروحة من خلال المحاور التالية:

- التعريف بمسيرة المستشرقين لورا فيشيا فاغليري وغوستاف لوبون.
- تحديد مفهوم الصورة الذهنية وأنواعها.
- صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته في كتاب "دفاع عن الإسلام" للورا فيشيا فاغليري.
- صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته في كتاب "حضارة العرب" لغوستاف لوبون.

1. تعريف بالمستشرقين لورا فيشيا فاغليري وغوستاف لوبون

1.2. لورا فيشيا فاغليري (1893-1989): هي باحثة إيطالية بارزة ومن رواد الدراسات العربية والإسلامية في إيطاليا. كانت أستاذة فخريّة في معهد نابولي الشرقي. وكرست نفسها لدراسة التاريخ الإسلامي واللغة العربيّة وآدابها. كتبت العديد من المقالات وأجرت الكثير من الأبحاث حول الإسلام وساهمت في الموسوعة الإسلامية. لاقت كتاباتها في مجال الدراسات الشرقية قبولا على نطاق واسع في الغرب (El-sergany, 2019).

قدمت العديد من المؤلفات منها كتاب "قواعد العربيّة" في جزأين، وكتاب "دفاع عن الإسلام"، الذي صدر باللغة الإيطالية ثم ترجم إلى الإنجليزية، وهو من أكثر الكتب الاستشراقية إنصافا للإسلام ورسوله (الصادق، 2015).

2.2. غوستاف لوبون (1841-1931): هو طبيب وعالم اجتماع فرنسي، ألف العديد من الكتب من أشهرها "سيكولوجية الجماهير" و"حضارة العرب" (dicocitations.com). ومن مؤلفاته أيضا: معاهدة فسيولوجيا الإنسان (1875)؛ تاريخ الأصول وتنمية الإنسان والمجتمعات (1877)؛ الإنسان والمجتمعات (1880)؛ حضارة العرب (1883)؛ حضارات الهند (1887)؛ الحضارات الأولى (1889)؛ القوانين النفسية لتطور الشعوب (1894)؛ علم نفس الحشود (1895)؛ علم نفس الاشتراكية (1898)؛ تطور المادة (1905)؛ علم النفس السياسي والدفاع الاجتماعي (1910)؛ آراء ومعتقدات (1911)؛ الثورة الفرنسية وعلم نفس الثورات (1912).

تهتم أعمال غوستاف لوبون، عموما، بالسياسة وعلم الاجتماع أو علم النفس الاجتماعي من ناحية، ومن ناحية أخرى بالفيزياء النظرية (Torris, s.d). وقد عمل في أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا، وقام برحلات عديدة في العالم الإسلامي. وله آراء تعتبر أن المسلمين هم من ساهموا في تمدن أوروبا، وعبر عن ذلك في مؤلفاته منها كتابه "حضارة العرب" الذي ألفه عام 1884 (albawaba.com) وهو موضوع حديثنا في هذه الدراسة.

2. تحديد مفهوم الصورة الذهنية وأنواعها

إن الاهتمام بدراسات الصورة الذهنية يعود إلى دورها كمعيار في تحديد سلوكيات الأفراد، وفي هذا الشأن يقول جيرالد هوتير: "من الممكن أن تصبح هذه الصور الذهنية نفسها قالباً لأفعال وسلوكيات خاصة. هذا ويتماها أحياناً الحد الفاصل بين التصور والحقيقة بهذه الطريقة وتصبح الصور الذهنية نشطة لدرجة أن تشرع في تحديد الفكر والشعور وفعل الشخص المعني" (جيرالد، 2014، ص 6).

وفي هذا الشأن، "يؤكد بولدنج أن الكيفية التي يتصرف بها الإنسان تعتمد على الصورة الذهنية، وأن أي تغيير يصيب الصورة يستتبع بالضرورة تغييراً في السلوك" (عجوة، 1983، ص 8).

ويمكن تعريف الصورة الذهنية بكونها: "النتائج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين، أو نظام ما، أو شعب أو جنس بعينه، أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنة معينة، أو أي شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان. وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم وعقائدهم. وبغض النظر عن صحة أو عدم صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب فهي تمثل بالنسبة لأصحابها واقعا صادقا ينظرون من خلاله إلى ما حولهم ويفهمونه أو يقدرونه على أساسها" (عجوة، 1983، ص 10).

ويعرفها منصور ندا، بأنها: "عملية معرفية نفسية نسبية ذات أصول ثقافية، تقوم على إدراك الأفراد الانتقائي، المباشر وغير المباشر، لخصائص وسمات موضوع ما (شركة، مؤسسة، فرد، جماعة، مجتمع...) وتكوين اتجاهات عاطفية نحوه (إيجابية أو سلبية) وما ينتج عن ذلك من توجهات سلوكية (ظاهرة، باطنة) في إطار مجتمع معين. وقد تأخذ هذه المدركات والاتجاهات والتوجهات شكلاً ثابتاً أو غير ثابت، دقيقاً أو غير دقيق" (منصور ندا، 2004، ص 29).

ومن هنا تأتي أهمية دراسة الصورة التي يحاول الآخر تشكيلها عنا وعن حضارتنا ورموزنا.

3. صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته في كتاب "دفاع عن الإسلام" للورا فيشيا فاغليري

شبهت لورا فيشيا فاغليري الإسلام في نشأته بـ"ينبوع من الماء الصافي النмир" (فاغليري، 1981، ص 21) الذي تحول سريعاً "إلى جدول، ثم إلى نهر، ليفيض آخر الأمر فتتفرع منه آلاف القنوات تتدفق في البلاد." (فاغليري، 1981، ص 21) وعلى عكس القوالب الذهنية السلبية التي يتمسك بعض المستشرقين الآخرين بتصديدها، فإن فاغليري تحتفي على طول كتابها "دفاع عن الإسلام" بما تقول إنها ظاهرة لم يشهد التاريخ مثلاً قط في إشارة إلى الإسلام الذي استطاع كدين جديد أن ينتشر في ظرف قصير ويطوق بتياره الصافي ممالك جبارة تمثل حضارات قديمة. وأن يحتفظ أتباعه بحيوية نابضة، على حد تعبيرها، لم تعرفها الأديان الأخرى حتى بعد انقضاء عشرة قرون على وفاة محمد (فاغليري، 1981، ص 21-22) وتتساءل: أية قوة أعجوبة تكمن في هذا الدين؟ أية قوة داخلية من قوى النفس الإنسانية ينتزع نداؤه استجابة مزلزلة؟ (فاغليري، 1981، ص 40). وتجيب عن المشككين بالقول "إن الإسلام هو في أكمل المعاني دين ودولة" (فاغليري، 1981، ص 128-129).

وفي تتبعها لسيرة النبي محمد صلي الله عليه وسلم نلمس صورة مغايرة تماما للصور النمطية السلبية السائدة في كتابات الكثير من المستشرقين منها استهداف الإسلام "بمحاولة الحط من مؤسسه" (ميخائيل، 2000، ص23). فهي تعتبر السنة النبوية "أقوى سناد لمفهوم في الحياة سليم". (فاغليري، 1981، ص87). وتتحدث عن الأحاديث النبوية بوصفها "تنطوي على أسعى المفاهيم الأخلاقية" (فاغليري، 1981، ص87-88). وتتمثل فئات الموضوع الأكثر ظهورا في كتابها "دفاع عن الإسلام" فيما يلي:

• الصفات الشخصية للرسول محمد صلي الله عليه وسلم من وجهة نظر فاغليري

يظهر الجدول رقم (1)، الصفات الشخصية للرسول محمد صلي الله عليه وسلم وفق ما تراه المستشرقة لورا فيشيا فاغليري. وتتجه الكاتبة نحو كل هذه الصفات اتجاها إيجابيا بعيدا عن أي تحفظ أو مواربة. فقد اقترنت شخصية محمد عليه الصلاة والسلام في كتابها بالصبر على أذى قريش وسخطها (فاغليري، 1981، ص30) وسخريتها واضطهادها (فاغليري، 1981، ص22-23) وهذا يعني أن امتشاق النبي حسامه، وفي ذلك رد من الكاتبة على مزاعم بعض المستشرقين بالنزوع نحو القتال، لم يكن سوى لاضطراره "للدفاع عن نفسه ورد كيد أعدائه" (فاغليري، 1981، ص22-23). فهجرته إلى المدينة جعلته في محور صراع وكان عليه أن يختار بين الموت على نحو مدل، وهو أمر لا يتفق مع رغبات الله، وبين القتال لإنقاذ نفسه وجماعته الصغيرة من الهلاك. فأصبح إقحامه في الحرب إقحام مكره على منازلة من أصروا على تدميره بالقوة لا رغبة في الحرب (فاغليري، 1981، ص30).

الجدول رقم (01): يمثل الصفات الشخصية للرسول محمد صلي الله عليه وسلم من وجهة نظر

فاغليري

الصفات الشخصية	صبور	متسامح	أمين	صادق	لطيف	رحيم	عادل	خلوق	نبيل	مخلص	محب	مصلح
الإنجازات المحققة	تحريز العقل والروح	احترام حرية المعتد	عقد الاتفاقيات والالتزام بها	رد المطالبات وتحقيق المساواة	زرع عاطفة الأخوة وإرساء المثل العليا	تحريز الأرقاء	إحقاق الحق وإقامة العدل	عدم التمييز بين الأعراق والأثوان	إنصاف المرأة	رفع مكانة العلماء والمتقين	تحقيق السلام والأمن	تحقيق ثورة اجتماعية وسياسية

وفي خضم هذا الصراع ظل النبي محمد شديد التسامح متمسكا بالمبادئ الإلهية وبخاصة نحو أتباع الأديان الأخرى. وقدم نموذجا للتسامح اقتدى به أتباعه فكما أعطى الرسول نفسه ضمانات إلى نصارى نجران بأن مؤسساتهم المسيحية سوف تصان، وأصدر أمره إلى قائد إحدى الحملات العسكرية إلى اليمن بأن لا يؤذي أيما يهودي في يهوديته، وكذلك وجه الخلفاء إلى قادتهم العسكريين تعليمات مماثلة حول مسلك جيوشهم في الحرب. ولقد حذا هؤلاء القادة المظفرون حذو محمد في عقد الاتفاقات مع الشعوب المغلوبة. (فاغليري، 1981، ص28-34). تقول فاغليري إن

النبي محمد لم يكتف بالدعوة إلى التسامح الديني، بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءاً من شريعته الدينية. وكان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد، وحتى يحجموا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول في الدين الجديد. (فاغليري، 1981، ص34-35).

تستهن فاغليري نزعة القوى المعادية للإسلام وتدحض افتراءاتهم على النبي وتصفه بما عرف عنه من أمانة وطهارة حياة (فاغليري، 1981، ص37) وتقول إنه: "كان لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه الشخصيين. لقد امتزجت في ذات نفسه العدالة والرحمة، وهما اثنتان من أنبل الصفات التي يستطيع العقل البشري تصورها (...). فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد كان عميقاً وأكيداً" (فاغليري، 1981، ص38). وتدعم ذلك بأمثلة من سيرته منها أنه "جعل الحرب- تلك الضرورة الرهيبة في الحياة الإنسانية- أقل وحشية" (فاغليري، 1981، ص39)، وأنه "كان من دأبه أن يوصي جنوده بقوله: "لا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تغدروا ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة" (فاغليري، 1981، ص39).

وتدفع عنه تهم "الشبق والشهوانية والاستهتار" وتصفه بـ "الزوج المخلص المحب" لخديجة طيلة خمس وعشرين سنة هي مدة حياتهما معاً، وترجع تعدد زوجاته بعد وفاتها إلى أسباب اجتماعية أو سياسية (فاغليري، 1981، ص99-100).

على عكس الاتجاه السائد لدى المستشرقين، لم يتضمن نص فاغليري أي شبهة إساءة لصفات أو خصال النبي صلى الله عليه وسلم بل حاولت في كتابها تكريس صورة إيجابية للرسول محمد وذهبت أبعد من ذلك بالدفاع عنه والرد على بعض المزاعم والافتراءات مما سعى كثير من المستشرقين غيرها إلصاقها بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم.

• إنجازات النبي صلى الله عليه وسلم من وجهة نظر فاغليري

يحفل كتاب "دفاع عن الإسلام" كما يظهر الجدول رقم (01)، بمظاهر متعددة لإنجازات عظيمة ترى الكاتبة لورا فيشيا فاغليري أن محمد صلى الله عليه وسلم استطاع تحقيقها عبر رسالته الإنسانية وفي مقدمتها أنه تمكن "في سنوات قليلة أن يحول شعباً وثنيا متبريراً إلى جماعة موحدة تعمر صدرها أسى العواطف والحوافز الأخلاقية" (فاغليري، 1981، ص39). وتتحدث بإعجاب عن "عاطفة جديدة، هي عاطفة الأخوة بين أناس تشد بعضهم إلى بعض مثل عليا مشتركة من الأخلاق والدين" (فاغليري، 1981، ص21) أشاعها الإسلام بين أتباعه، في ظاهرة لم يشهد التاريخ مثيلاً لها (فاغليري، 1981، ص22). وأرسى بذلك قواعد السلام والأمن في ربوع لم تعرف الاستقرار من قبل (فاغليري، 1981، ص24).

وتوجه فاغليري الأنظار إلى تلك الظاهرة التي طبعت رسالة النبي محمد وهي سرعة الانتشار والتمكين لها عبر البعد المكاني والمدة الزماني المستمر "بحيوية نابضة لم تعرفها الأديان الأخرى حتى بعد انقضاء عشرة قرون على وفاة محمد"

(فاغليري، 1981، ص22). وتعتبر أن محمد صلى الله عليه وسلم شكل منذ بعثته نموذجا لأتباعه انعكس في سلوك البسطاء منهم والخلفاء الذين "سلكوا كرؤساء للدولة الإسلامية (...) السبيل التي اختطها، وحملوا راية الإسلام إلى قلب آسية في الشرق وإلى المحيط الأطلسي في الغرب (فاغليري، 1981، ص25).

وتتحدث فاغليري عن الفتوحات الإسلامية لا بوصفها غزوا كما يدعي البعض، ولكن كحاملة رسالة عالمية استفادت من خلالها الشعوب المستقبلية والمعتنقة لهذه الرسالة بما وفرته لها من مثل عليا ومبادئ أخلاقية قوضت حضارتين وزعزعت دينين وأمدت شعوبا خائرة القوى بحياة عارمة جديدة يكفلها نظام من التداول العادل والتسيير الأمين، وبما أرسته من تنظيم للبلدان المفتوحة لا يقل إعجازا عن الفتوح نفسها (فاغليري، 1981، ص27).

ومن الواضح أن فاغليري تحاول في نصها تكريس العلاقة بين الصفات الشخصية الإيجابية لرسول الله والنجاحات التي حققها رسالته، ولم تذهب كما فعل كثير غيرها من المستشرقين إلى الجمع بين المتناقضات في إطار شاذ ترتبط فيه الصفة الإيجابية بالأعمال والمواقف السلبية، مثال على ذلك الجمع بين "الصدق والأمانة" و"الادعاء الكاذب" وما يترتب عنه من سلوكيات تحقق للمفارقة الغريبة إنجازات عظيمة.

وفي هذا الشأن، تقول فاغليري إن التحول السياسي والديني العميق الذي كان وراءه النبي محمد أزج البعض فحاول تحطيم عمله الرائع في الإصلاح الاجتماعي والديني (فاغليري، 1981، ص29). بينما قام هو بـ"ثورة اجتماعية وسياسية حقيقية" (فاغليري، 1981، ص23) وأعطى نموذجا في التسامح الديني اقتفى أثره أتباعه من القادة المخضرين في عقد اتفاقات منحت بموجها الشعوب المغلوبة حرية الاحتفاظ بمعتقداتها (فاغليري، 1981، ص34)، وفي المساواة الاجتماعية وعدم التمييز على أساس من الدين أو العرق أو اللون أو المكانة الاجتماعية (فاغليري، 1981، ص109-110).

ونجد في نص الكاتبة تعبيرا عن اتجاهها الإيجابي نحو النبي الذي لم يستعمل الناس بالمعجزات بل حرر العقول والإرادات وحث على التفكير وجعله موجها لإدراك الحقائق فـ"هوى الكهان، وحفظة الألباز المقدسة الزائفون، وسماسرة الخلاص، وجميع أولئك الذين تظاهروا بأنهم وسطاء بين الله والإنسان... عن عروشهم" (فاغليري، 1981، ص46).

وهكذا، فإن فاغليري تنقل في كتابها "دفاع عن الإسلام" انطباعات ذاتية إيجابية عن شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعن سيرته ورسالته، وبهذا المعنى فهي تحاول ترسيخ صورة ذهنية إيجابية عن النبي محمد.

4. صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته في كتاب "حضارة العرب" لغوستاف لوبون

رغم بعض آرائه المنصفة للحضارة الإسلامية، إلا أن محتوى كتاب غوستاف لوبون "حضارة العرب" يحمل شيئا من التناقض في تناوله لسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فهو مثلا يصفه بالصدق والأمانة ثم يتحدث عن نيته المبيتة في صياغة مبادئ دينه، وبالتالي فإن الصورة التي يحاول لوبون رسمها عن النبي محمد، كما سنرى فيما

يلي من عناصر، فيها نوع التشويه والتعارض غير المبرر أكثر ما فيها من الإنصاف، ولا تبتعد في توجهها كثيرا عن الصورة التي حاول العديد من المستشرقين ترويجها عن شخص وسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

• الصفات الشخصية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم من وجهة غوستاف لوبون

يظهر الجدول رقم (02)، المواصفات الشخصية للنبي محمد حسب غوستاف لوبون، فهو يُقر أن محمدا عليه الصلاة والسلام عرف بين أهله "برفقه وصدقه، فلقبته قريش بالأمين" (لوبون، 2019، ص120)، واستدل على "لطفه وحلمه" (لوبون، 2019، ص127) بحسن معاملته لأعدائه عند النصر سواء من قريش

الجدول رقم (02): يمثل الصفات الشخصية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم من وجهة نظر

غوستاف لوبون

الصفات الشخصية	صبور	شجاع	بارع في المجال الحربي	بليغ	أمين	صادق	لين	لطيف	حليم	محب للنساء	عظيم	مهوس
الإنجازات المحققة	الانتشار السريع لرسائله	نشر مكارم الأخلاق	إقامة العدل والإحسان	تحقيق المساواة	بث روح التضامن بين المسلمين	الحرية الدينية	التأثير برسائله في الناس	بناء حضارة	توحيد العرب	تهذيب النفس	أسبقية الدعوة على السيف	نشر اللغة العربية

أو ممن سواها، وأثنى على رباطة جأشه في فترات الهزيمة (لوبون، 2019، ص126)، وقدرته على احتمال المشاق بثبات (لوبون، 2019، ص132)، ومواجهة "ضروب الأذى والتعذيب بالصبر وسعة الصدر" (لوبون، 2019، ص124). ويضيف إلى ذلك همته ولين طبعه ودعته (لوبون، 2019، ص132).

ولكن ورغم إقراره بأن الصدق والأمانة هما من خصال الرسول عليه الصلاة والسلام، فإنه في تناقض واضح، يشكك في نبوة محمد، أي أنها مجرد ادعاء، ويظهر ذلك في حديثه عن فترة الـ15 عاما التي تتوسط تاريخ زواجه الرسول بخديجة وتاريخ بعثته ويلمح إلى أنه "كان يفكر في أثنائها في مبادئ دينه الذي سيكون زعيمه، ولم يبد منه في تلك السنين أي نفور من عبادات العرب مع ذلك، كما أنه لم يقع فيها ما يدل على تفكيره في قلب تلك العبادات رأسا على عقب (لوبون، 2019، ص121). ويتحدث في موضع آخر عن قدرة النبي على "جذب الأتباع ببلاغته" في إشارة ضمنية إلى أن القرآن من اختلاقه.

وإذا كانت لورا فيشيا فاغليري تتساءل بدهشة: "كيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد، وهو العربي الأمي الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين أو ثلاثة أبيات، لا ينم أي منها عن أدنى موهبة شعرية؟" (فاغليري، 1981، ص57)، فإن غوستاف لوبون، على العكس منها، يصور أمية النبي محمد على أنها سبب فيما ينسبه من خلل إلى القرآن الكريم، ويقول إنه لو لم يكن محمد أميا "لوجدت في تأليف القرآن ترتيبا أكثر مما فيه" (لوبون، 2019،

ص132). ويرد بالقول إن: "محمدا لو كان عالما ما أقام ديننا جديدا، فالأميون وحدهم هم الذين يعرفون كيف يدرك أمر الأميين" (لوبون، 2019، ص132).

وهكذا يصور غوستاف لوبون محمد كشخصية محدودة التعليم قامت بتأليف القرآن، لا كرَسُول، ولكن هذه الشخصية الأمية كانت، برأيه، تتمتع بفطنة عظيمة (لوبون، 2019، ص132)، بل ويعدّه "من المتهوسين (...)" كأكثر مؤسسي الديانات، ولا كبير أهمية، فأولو الهوس وحدهم، لا ذوو المزاج البارد من المفكرين، هم الذين ينشؤون الديانات ويقودون الناس، ومتى يبحث في عمل المفتونين في العالم يعترف بأنه عظيم، وهم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول وأثاروا الجموع وقادوا البشر، ولو كان العقل، لا الهوس، هو الذي يسود العالم، لكان للتاريخ مجرى آخر" (لوبون، 2019، ص136-137).

وتظهر آراء لوبون هذه بوضوح أنه يتهم النبي محمد بادعاء النبوة، بل إنه في موضوع آخر يتحدث عن لقاءات جمعت الرسول أثناء سفره إلى سورية أكثر من مرة براهب تلقى منه علم التوراة (لوبون، 2019، ص120). وفي هذا إشارة إلى أن القرآن تم تأليفه بناء على هذا العلم.

تقودنا قراءة محتوى ما كتبه غوستاف لوبون في مؤلفه "حضارة العرب"، إلى أن الكاتب حاول تقديم صورة مشوشة نوعا ما عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وسواء كان متعمدا في ذلك أو نتيجة لافتقاده رؤية سليمة بفعل خلفيته الفكرية والثقافية أو بتأثير ظروف بيئته والاتجاهات المهيمنة فيها، فهو يرسم صورة عن النبي محمد تنزع إلى السلبية أكثر، عندما يقرن العظمة بالهوس والصدق بالادعاء والتأليف.

• إنجازات النبي صلى الله عليه وسلم من وجهة نظر غوستاف لوبون

يصور غوستاف لوبون محمدا صلى الله عليه وسلم على أنه رجلا عظيما، لكنه لا يقر بنبويته. ويقول إن لمحمد إنجازات كبيرة ككل العظماء بل إنه في مقارنته بهؤلاء يعتبره "أعظم من عرفهم التاريخ" (لوبون، 2019، ص138)، وأنه حقق "في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام" (لوبون، 2019، ص138).

من هذه الإنجازات، يذكر لوبون قدرة الرسول على توحيد العرب، فقبل وفاته استطاع أن يجمع "كلمة العرب، وخلق منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى" (لوبون، 2019، ص137). وهو في هذا يعتب على الكثير من مؤرخي الغرب ويأخذ عليهم عدم إنصافهم لمحمد بسبب التعصب الديني (لوبون، 2019، ص137).

وإذا كنا نجد في كتاب "حضارة العرب" صورة مشوشة حول الصفات الشخصية للرسول، فإن الكتاب يحاول على العكس من ذلك تقديم صورة تتجه أكثر إلى الإيجابية حول إنجازات محمد صلى الله عليه وسلم، وهي صورة تتفق إلى حد ما مع صورته كشخصية عظيمة، يرى غوستاف لوبون، كما يظهر الجدول رقم(02)، أنها أرست معالم دين يقوم على أساس المساواة بين جميع الناس والعدل والإحسان (لوبون، 2019، ص154-155)، وهو ما جعله من "أشد

الأديان تأثيرا في الناس" (لوبون، 2019، ص155) و"أعظمها تهديبا للنفوس" (لوبون، 2019، ص156)، و"أسرعها انتشارا" (لوبون، 2019، ص156)، ليؤسس بذلك حضارة بعيدة عن الإكراه الديني "فقد ترك المغلوبين أحرارا في أديانهم" (لوبون، 2019، ص158)، وحائه على "التحلي بمكارم الأخلاق والابتعاد عن العيوب والآثام" (لوبون، 2019، ص158). وداعية إلى السلم والسلام. ويقر غوستاف لوبون بأن الإسلام لم "بالسيف إذن، بل انتشر بلدعوة وحدها(...) وبلغ القرآن من الانتشار في الهند، التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل..." (لوبون، 2019، ص158-159).

مما تقدم، يظهر أن غوستاف لوبون حاول في كتابه "حضارة العرب" تعظيم إنجازات الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم يتوقف عند ما توقف عنده الكثير من المستشرقين في محاولة منهم لتقزيم هذه الإنجازات وثنى الناس عنها بتقديم صورة سلبية ومجحفة عن الإسلام وحضارته.

5. خاتمة

إذا اعتبرنا أن المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري قد أنصفت الإسلام ونبيه في كتابها "دفاع عن الإسلام" ليس من خلال توجيهها الإيجابي نحو الرسول محمد وسيرته وأعماله وتركيزها على إبراز إيجابيات الحضارة الإسلامية فقط، ولكن لأنها أيضا انبرت للرد على ادعاءات المستشرقين الذين دأبوا على تشويه صورة الرسول محمد وسيرته، فإننا نقف موقف الحذر أمام كتاب "حضارة العرب" للمستشرق الفرنسي غوستاف لوبون فهو يتضمن الإنصاف في بعض الجوانب، لكنه يتسم في جوانب أخرى بازدواجية في الخطاب خاصة فيما يتعلق بالصفات الشخصية للنبي محمد عليه الصلاة والسلام.

وإذا أردنا أن نلخص، فإن صورة النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب لورا فيشيا فاغليري هي صورة إيجابية تتسم بالوضوح والمباشرة بينما الصورة التي حاول غوستاف لوبون تسويقها فهي صورة مشوشة تتأرجح بين الإيجابية والسلبية.

6. المراجع

- 1- أيمن منصور ندا، الصور الذهنية والإعلامية: عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير، كيف يرانا الغرب؟، القاهرة: المدينة برس، 2004.
- 2- جيرالد هوتير، سلطة الصورة الذهنية: كيف تغير الرؤى العقل والإنسان والعالم، ترجمة: علا عادل، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2014.
- 3- علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1983.

4- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادا زعيتير، ج1، الجزائر: دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، 2019.

5- لورا فيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، 1981.

6- مخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، ترجمة: عطا عبد الوهاب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.

7- محمد الصادق الطاهر الأمين، لورا فيشيا، صحيفة الاتحاد، الاثنين 13 يوليو 2015. تاريخ الاطلاع 2022/02/05، متاح على:

<https://www.alittihad.ae/article/67557/2015/>

8- El-Sergany, Ragheb. (16/09/2019). Laura Veccia Vaglieri (1893-1989). Retrieved 10. 01.2022, available at:

[Laura Veccia Vaglieri - Italy | islamstory | Islamic History Portal](https://www.alittihad.ae/article/67557/2015/),

9- TORRIS, Georges. « LE BON GUSTAVE - (1841-1931) », Encyclopædia Universalis [en ligne], Retrieved 05. 02. 2022, available at:

<https://www.universalis.fr/encyclopedia/gustave-le-bon/>

10- <https://www.albawaba.com/ar>

11- https://www.dicocitations.com/biographie/2616/Gustave_Le_Bon.php